

المعاملات التجارية بالمغرب الأقصى من خلال مخطوط " رواج السكة بالزيادة" لأبي حامد العربي المشرفي

د. حمدادو بن عمر / جامعة وهران 01

مقدمة:

تعتبر الرسالة المخطوطة التي بين من بين أهم المصادر التي تفيد الباحث في معالجة العديد من المواضيع التاريخية والفقهية بشيء من العناية والتدقيق، وذلك أن ما تحويه من معلومات قيمة من شأنه أن يساهم في تسليط الضوء على الجوانب المنسية أو المهملة من لدن المؤرخين، كما يمكن أن يساعد على سد بعض الثغرات التي نقف عليها في تأليفهم، أو أثناء محاولتنا لإثارة نقطة من بين النقاط المغيبة أو غير المفهومة في التاريخ والتي تحتاج منا إلى توضيح وتدقيق. وتميزت الكتابة في السكة بارتباطها بالمجال الاجتماعي والسياسي في المغرب الأقصى وغيرها من الأقطار العربية الأخرى، وأهم ما كتبه المغاربة في مجال رواج السكة خلال فترة زمنية معينة. وقبل أن نعطي صورة عامة عن محتوى الرسالة المخطوطة والتعريف بها وبفصولها، لابد من الإشارة إلى حياة المؤلف، التي من خلالها نعرف شخصية هذا العالم الفقيه في أصله، والمغربي في فكره.

Abstract :The study deals with one aspect of the economic history of Morocco where we try to define and demonstrate the mechanisms of the Railway system in Morocco during the end of the 18th century and the beginning of the nineteenth century. As this period is the beginning of change of mechanisms system of monetary exchange due to the effects of the remnants of foreign intervention as the Spanish Douro had become to compete the Moroccan dirham since 1799.

As we tried to highlight the role of the scientists and the scholars and their standing by weight at the limits of the railway use and that a matching assessment by weight . That is what pushed the multiplicity of the jurisprudence corresponding to the achievement of the popularity of the railway and its relationship to the weight.

On this basis, we have chosen the message of the manuscript that dealt with the subject from several angles. The message of the manuscript in our hands is among the most important sources of the researcher in addressing many of the historical subjects and jurisprudential with some care and scrutiny, that its valuable information would contribute to shed light on forgotten or neglected aspects done by historians and could also help to fill some gaps which stand in the writing, or while trying to raise points among the absent ones or lacking in the history that we need to clarify and scrutinize.

The writing about the railway was linked to the social sphere and the political situation in Morocco and other Arab countries and the most importantly the Moroccans wrote in the popularity of the railway within a given period of time (19 BC).

Commercial Transactions -the Manuscript -Al Mashrafi- the economic history - the railway.

1- حياة المؤلف:

1-1 مولده ونسبه:

يرى الباحث حسن الفرقان أنّ هناك تضاربا حول تاريخ ولادة العربي المشرفي، وحول اسمه بالكامل، فيما يخص اسمه فقد ورد بصيغ متعددة، أما عن ولادته، فقد وجد كذلك تضارب حولها. فانطلاقا من بعض المعطيات التاريخية، نجد ضمن كتاب صاحب الاعلام "أنّ المشرفي من مواليد أواسط العشرة الرابعة من القرن الثالث عشر الهجري، اعتمادا على مصادفة تاريخ انتهائه من تأليف كتابه الحسام المشرفي سنة (1285هـ/1868م). عن عمر يناهز الخمسين"¹. ويواصل الباحث حسن الفرقان قوله: "...فإن المعلومات التي أمكن جمعها من الاشارات المتفرقة تقودنا إلى الحسم بأنّ ولادته كانت قبل هذا التاريخ بمدة تفوق عشرة أعوام على أقل تقدير... والأكد أنّ العربي المشرفي ازداد بقرية الكرط بضواحي مدينة معسكر"².

1-2 نسبه:

إذا حاولنا أن نعرف أصل العربي المشرفي ونسبه؛ فإننا نجد ذلك واضحا من خلال ما قيده العربي المشرفي بنفسه ضمن كتابه ياقوتة النسب الوهاجة قائلا: "ولابد من ذكر نسبنا المتصل بنسب العرهويين، فنقول: نسب جامع ومقيده محمد العربي بن عبد القادر بن علي، بن محمد، بن مسعود، بن عبد الله، بن يوسف، بن عيسى البوخليلي، بن صالح، بن الحسن، بن أبي القاسم، بن أبي عبد الله، بن محمد، بن الشيخ مولانا يعقوب، بن أبي إسحاق، بن عبد الله، بن أبي عمر، بن موسى، بن الشيخ مولانا صفوان الملقب بلسان القبط عند العجم، بشار بن موسى، بن سليمان، بن يحيى، بن موسى، بن عيسى، بن إدريس، بن إدريس، بن عبد الله الكامل، بن الحسن السبط المثنى، بن الحسن السبط، بن مولانا علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"³.

إلى جانب أنّ أصل الأسرة من قرية بوصمغون بالجزائر. والتي حازت الرياسة في العلم والشرف، على حد قول المشرفي نفسه ضمن كتابه ياقوتة النسب الوهاجة: "ولذلك كانت النقابة فيهم لا تتعداهم ولا تخرج منهم، وحصرها فيهم ملوك الأتراك"⁴. لاسيما تلك الظواهر التي عززت حظوتهم ورفعت مكانتهم. إلى جانب امتلاكهم لحظ وافر في التجارة وامتلاك العقارات. وعليه فإنه يتضح لنا من خلال ما سبق ذكره أنّ العربي المشرفي نشأ في بيئة شريفة عالمة توارثت الشرف والعلم

¹ - حسن الفرقان، أدبيات الأوبة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، منشورات دار التوحيدي الرباط المغرب، ط1، 2014، ص:12. . وراجع كذلك: عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وآثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2011، ص:67-68.

² - حسن الفرقان، المصدر السابق، ص:11-13. وراجع كذلك: عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وآثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2011، ص:67-68.

³ - العربي المشرفي، البواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"، مخطوط مكتبة القصر الملكي، الرباط، رقم:1534، و:44ظ.

⁴ - المصدر نفسه، و:54.

والتجارة كبرا عن كابر، ذاع صيتها في الآفاق مشرقا ومغربا.

1 - 3 النشأة والتكوين:

من خلال المؤلفات العديدة التي خلفها العربي المشرفي، يتضح لنا أن له تكويناً متنوعاً شمل مختلف الفنون والعلوم (الفقهية والأدبية والتاريخية و...)، وهذا من خلال رحلاته التي قام بها للحواضر العلمية المعرفة آنذاك داخل الجزائر وخارجها، طالباً للتحصيل العلمي والمعرفي. فقد تلقى أبجديات القراءة والكتابة الأولى على يد والده عبد القادر بن علي المشرفي، الذي كان عالماً وفقهياً جمع بين الدين والعلم على حدٍ سواء. التحق المشرفي بعدها بزاوية الكرط أين حفظ القرآن الكريم. درس العربي المشرفي على ثلثة من العلماء في فنون مختلفة منهم:

فبمنطقة معسكر تتلمذ المشرفي على ثلثة من العلماء أبرزهم:

- سيدي محمد بن عبد الرحمن،
- سيدي عبد الله بن ديدة،
- العربي بوروبة، ومحمد بن عدلة.
- محمد بن عبد الله سقاط المشرفي
- الطيب بن عبد الرحمن
- أحمد بن التهامي
- مصطفى بن أحمد التهامي
- محمد بوسيف العامري الترابي
- بن عب بن المصطفى
- الطاهر المشرفي
- عبد القادر بن مصطفى بن الأحمر
- السنوسي بن عبد القادر
- أما بمدينة مستغانم فأبرزهم:
- محمد بن صابر
- محمد بن عامر البرحي
- محمد بن يوسف العامري الترابي
- محمد بن عاشر
- عبد القادر بن القندوز
- أما بمدينة تلمسان فمنهم:
- الشيخ الفقيه الحاج الداودي التلمساني،
- والشيخ محمد بن سعد التلمساني،
- وسيدي محمد الفخار.

أما بوهان فمنهم:

- الشيخ أحمد بن التهامي

- عبد الله سقاط

- خليل الفرندي

وقد كان لاحتلال فرنسا للجزائر وقع كبير على حياة المشرفي العلمية، والاجتماعية، وهو ما ترك في نفسه نوع من الحسرة والأسى على فقدان مدن الجزائر الواحدة تلو الأخرى. تدمرا كبيرا حيال مسيرته العلمية. وهو ما جعله بعد الاحتلال يرجع قافلا إلى معسكر، أين تولى تعليم. ومما يمكن الإشارة إليه وهو أنه في كثير من رحلاته كان يزور عددا من الزوايا أبرزها زاوية مجاجة سنة 1249هـ/1833م، الزاوية المختارية بمرآكش. ويطلع من خلالها على عدد هائل من المخطوطات النفيسة والقيمة، التي استطاع من خلالها العربي المشرفي من تكوين مكتبة زاخرة بنفائس المخطوطات وذخائرها، وهنا نجد أن أبا القاسم سعد الله يرجح من أن المشرفي استطاع أن يكون "خزانة مهمة من المخطوطات حملها معه عندما هاجر إلى المغرب وأقدها من الضياع"¹.

إنّ حديثنا عن هجرة العربي المشرفي إلى المغرب واستقراره بفاس، موضوع يستحق أكثر من دراسة وتدقيق وتمحيص في العوامل الأساسية التي دفعت بالمشرفي إلى القيام بذلك. وإلى ضرورة معرفة الوضع العام الذي كان قائما آنذاك؛ وخصوصا وأن ثغور الجزائر كانت قابضة تحت الاحتلال الفرنسي.

إنّ المؤرخ المتمعن في جوهر تلك الحركة الجماعية والفردية التي كانت بين الجزائر والمغرب كظاهرة اعتيادية؛ تربط بلدين شقيقين، تجمعهما روابط اسرية وروحية وأطر جغرافية وتاريخية؛ قلما ترسخت في ذهنيات النخب العالمية آنذاك من الطرفين. وهذا انطلاقا من اختلاف دوافع الهجرة، إما بدافع الهروب من الفتن والحروب، واختلال الأوضاع السياسية في الكيان الواحد، وإما بدافع الرحلة للاستزادة ف تحصيل العلم والمعرفة، وإما بدافع البحث عن الكلا والمناطق الخصبة زمن الأوبئة والمجاعات. إلى جانب عامل الاحتلال الفرنسي الذي أثر في طبيعة العلاقات السياسية والدينية والاجتماعية بين المغرب والجزائر، وتأثيرها على الجانبين.

4-1 تلامذته:

إنّ عبقرية العربي المشرفي وتبحره في مختلف العلوم والفنون، وتصديه لمختلف الردود والاعتراضات التي كانت تأتيه من عدد من العلماء على اختلاف مناهلهم ومذاهبهم، جعلته يترك وراءه ثلة من التلاميذ النجباء؛ منهم:

محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي قاضي الحياينة صاحب الحلل البهية.

¹ - حسن الفرغان، المصدر السابق، ص: 18. راجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 1998، ج 5، ص: 387.

العلامة علي بن الحاج بن موسى الجزائري:

عبد القادر بن البشير، من علماء غريس¹.

أبو العباس السيد أحمد².

مدونات العربي المشرفي العلمية:

ترك العربي المشرفي مدونات علمية غزيرة ومتنوعة الحقول المعرفية، وهذا مما لاشك فيه يعكس عبقريته وموسوعيته، من خلال خوضه غمار الكتابة والتأليف بلا منازع؛ لاسيما في الأدب والتاريخ وهما الطاغين في جلّ كتاباته.

أ/ في مجال التاريخ والأنساب والمناقب:

- ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة

- تاريخ علماء فاس

- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وفي عتو

الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار

- إثم الجفون في من بعهد الله يوفون

- ذخيرة الأواخر والأول في ما يتضمن من أخبار الدول

ب/ تاريخ المغرب:

- رسالة في أهل البصير الحثالة

- مسموم عرار النجد والغيطان، المعد لاستنشاق الوالي وأقاس المولى السلطان

- تاريخ الدولة العلوية

- الآيات والحوادث

ج/ الرحلات:

- رحلة إلى نواحي فاس.

- زهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن

محمد وولده الحسن.

- تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور

- الرحلة العريضة لأداء فريضة حج الفريضة

د/ تأليف السجل والردود:

- جواب على سؤال السند أبي الحسن علي بن طاهر المدني لعلماء فاس

¹ - أبو حامد المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول في ما يتضمن من أخبار الدول، الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، تحت رقم: 2659ك. و: 19ظ.

² - المصدر نفسه، و: 22و. . ويراجع كذلك: عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وآثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2011، ص: 67-68.

- لحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن أكنسوس.
- الدر المكنون في الرد على العلامة كنون.
- المشرفي الحمزاوي لقطع فؤاد الخبزاي.
- عجيب الذاهب والجلاني في فضيحة الغالي اللجائي
- الحسام المشرفي للمهاجر المقتني.
- نزهة الماشي في قبائح العياشي المستغاني
- ه/ شروح فقهية وأدبية ودواوين شعرية:**
- حاشية على شرح المكودي.
- تقايد على شمائل المصطفى.
- فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان أو المواهب السنية في شرح الشمقمقية.
- الفتح والتيسير في شرح منظومة غوثية البدر المنير السيد محمد بن العربي الوزير.
- كناشة.
- ديوان نظم في من أيقض للدين جفن الوسن مولانا الحسن.

2-تعريف السكة ومصطلحاتها:

السكة كلمة لها معاني عدة، يقصد بها تلك القطع النقدية المعدنية على اختلاف انواعها وأوزانها ومعادنها التي يتعامل بها الناس في مختلف مجالاتهم التجارية والمالية، وقد كانت تطلق هذه الكلمة على عملية الختم في الدينار والدرهم، بطابع حديدي تنقش فيه مواضيع معينة كالكتابات او الصور مقلوية، ويضرب فيها على الدينار والدرهم، كما كانت تطلق على كلمة السكة وهي الطابع ذاته، واحيانا كان يقصد بها تلك النقوش المضروبة على النقود، ثم توسع مدلول هذه الكلمة فأصبح يطلق بها على الوظيفة.

وفي العصر الحديث أصبحت السكة علما قائما بذاته كغيره من العلوم، اصطلح عليه بعلم المسكوكات والتي تعني (NOMOS) و (NUMUS) أو علم النميات، نسبة الى كلمة نمي المشتقة من اليونانية واللاتينية النقود المضروبة من المعدن.

3- لمحة عن تاريخ السكة المغربية:

تعالج هذه الوثيقة موضوعا في غاية الأهمية يتعلق بأحد جوانب التاريخ الاقتصادي؛ وبالخصوص آليات نظام التبادل النقدي بالمغرب أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. إذ أصبح الريال الاسباني يزاحم المتقال المغربي منذ سنة 1799، بعد توقيع المعاهدة المغربية الاسبانية من قبل السلطان مولاي سليمان. حيث أصبح الريال وحدة اساسية لصرف العملة المغربية والتي استمرت إلى غاية 1845.

ثم "إن تعدد السكك وتداخلها في الزمان واختلافها في الوزن والصفة والعبارة؛ كل ذلك كان يؤدي إلى كثير من المشاحنات والاختلاف في مجال الصرف"¹. وقد عمد التجار والفقهاء والقضاة وغيرهم بالمغرب منذ القرن الخامس إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، إلى اتخاذ الوزن وسيلة من وسائل الاحتكام وحتى التعامل اليومي ضمن ما يعرف بالميدان النقدي. وتؤكد الوثيقة التي بين أيدينا الرؤيا التي قدمها فقهاء تلك الفترة السالفة الذكر.

ومما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال أنّ المغرب عرف تحولات نقدية انعكست سلبيًا على الحركة التجارية في القرن التاسع عشر، فبعدما عرفت العملة المغربية تألقًا إيجابيًا من خلال تدفق كمياتها ورواجها وازدهارها بعموم المغرب، عرفت في فترات أخرى نوعًا من الانحسار، انعكس سلبيًا على كمها وسعر صرفها. بسبب عدة عوامل عامة وتقصد بها الطبيعية مثل (النكبات الطبيعية كالأمراض، والأوبئة والمجاعات والجفاف، وأخرى خاصة منها: الغزو الأجنبي للمغرب ومنافسة العملات الأجنبية للعملة المغربية. كمية النقود المحدودة وضالة المعادن التي تصنع منها العملة المغربية)².

لقد كانت هذه العوامل مؤشرا بارزا على تطور أسعار الصرف، وانخفاض قيمة النقود المغربية، على عكس قيمة النقود الأجنبية التي كانت ترتفع بشكل كبير. وقد بدأت محاولات الإصلاح النقدي خلال القرن التاسع عشر مع إصلاحات السلطان مولاي سليمان لسعر الريال الإسباني ومساواته بالمثقال المغربي. فحدد بذلك السعر الرسمي للصرف، كما اضطر السلطان مولاي عبد الرحمن للقيام بإصلاح آخر يعدل فيه السعر الرسمي ليوافق سعر الصرف التجاري، فأصدر ظهيرا سنة 1848 حدّد بموجبه سعر الريال الإسباني ب: 18 أوقية، والريال الفرنسي ب: 17 أوقية، ثم أصدر ظهيرا آخر سنة 1852 يحدد فيه السعر الرسمي للريال الإسباني ب: 20 أوقية، والريال الفرنسي ب: 19 أوقية³.

وما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ معالم النظام النقدي والأوزان الأساسية والعلاقات الحسابية بين مختلف القطع النقدية الذهبية والفضية والنحاسية المتداولة آنذاك؛ تحتاج إلى دراسة وافية، تميّط اللثام عن جوانب مهمة من الإصلاح النقدي الذي باشره سلاطين المغرب خلال القرن التاسع عشر.

4- مضمون الرسالة:

تدخل هذه الرسالة ضمن موضوع الشبكة والنقود؛ فمن الناحية الفقهية خصّص العربي المشرفي هذا التأليف، والذي هو في الأصل عبارة عن جواب لسؤال وُجّه له حول رواج الشبكة بالزيادة

¹ - عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر: أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993. ص: 69.

² - عمر أفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر: البنات والتحويلات (1830-1912)، دار الأمان الرباط، ط1، 2006، ص ص: 225-22.

³ - عمر أفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر: البنات والتحويلات (1830-1912)، ص ص: 230-233.

وعلاقته بارتفاع سعر صرف العملة أو السكة. وقد كان تأليف هذه الرسالة في الثالث صفر من عام 1304هـ الموافق ل الفاتح من شهر نوفمبر 1886م.

حيث نجد أبي حامد العربي المشرفي بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يذكر غرضه من تأليفه لهذه الرسالة بقوله: "...بعد أن سئلت بذل المجهول في كشف القناع عن الرواج بالزيادة في الدرهم المألوف والمعهود، ولم يسعني زمان أطلع فيه المطولات، وأتوسع فيما دون في المدونات، فاقترعت على تسويد ورقات لقصر باعي وقلة اطلاعي، ولولا السائل من ذوي العقول الراجحة، وممن هو في الدين من ذوي التجارات الراجعة، كسلمان والسيد سراقفة، ما سوت للكلكل عزا ورافة، إذ الخطب عسير، والاهتمام بالحسنة خير وخير، وأجر كثير"¹.

وهنا يفضل أبو حامد العربي المشرفي في هذه المسألة مبرزا أسبابها وسياقها التاريخي بقوله: "إنّ جل خصومات هذا الوقت دائرة بين أهلها في شأن السكة، فإن الناس يتعاملون بالأجل، ويشهدون على عزمائهم عددا من المثاقيل، ثم لا يحلّ أجل تلك السلعة أو لا يقضى الدين، إلا وقد زاد صرف الريال والبساسيط²، وإنما يكتب فيها سكة التاريخ، جريا على المسطرة المألوفة من غير أن يسمعو ذلك من المتعاقدين"³.

ويواصل المشرفي تشريحه للمسألة موضّحا أهم التغييرات التي طرأت على سعر صرف المعادن خلال تلك الفترة، ومبيننا ذلك بقوله: "ومن المعلوم أنه ليس عندنا بأرض المغرب كلها سكة، يستقى الشخص الواحد منها مثقالا، لا من الذهب ولا من الفضة، ولا من الفلوس، وإنما يراد به إذا أطلق أحد أمرين متساويين في دلالاته عليهما من غير ترجيح أحدهما على الآخر. أحدهما عدد معلوم من فلوس النحاس، وهو أربعون موزونة، وهذا لم يقع فيه تغيير لا بزيادة ولا بنقصان"⁴.

" والمدلول الثاني قدر مخصوص من سكة الفضة، وهذا قد طراه التغيير مرارا، في وزنه وعدده؛ فطورا يكون مدلول المثقال عشرة دراهم، قد وزن كل كذا، وطورا يكون أقل من ذلك مع اختلاف الوزن، وتارة يكون حزما من الريال كثلته أو ربه أو خمسه إلى سبعة. فيقال فيه **يروّج** بكذا من المثاقيل؛ فلا يتقرر على حالة، كما هو مشاهد بالعيان، فإذا وقع نزاع بين صاحب الدين وغرمائه، وترافعوا لمجلس السلطان في ذلك؛ فيجد لفظ المثقال مشتركا، والمشارك من جملة المجمل، كما في جمع الجوامع، ولا يقضى بمجمل إجماعا، فلا تقدر نحن أن نحكم عليه بأداء المثاقيل فضة على حسب صرفها يوم العقد، كما هو غرض صاحب الدين، لأنّ الفلوس ودرهم الفضة متساويان في دلالة لفظ المثقال عليهما، لا رجحان لأحدهما على الآخر"⁵، وراجعنا قول صاحب العمل:

¹ - العربي المشرفي، رواج السكة بالزيادة، مخطوط مكتبة تطوان المغرب، تحت رقم: 343/1، و: 2ظ.

² - المقصود بها العملة الإسبانية التي تأسست عام 1869.

³ - المصدر نفسه، و: 3و.

⁴ - المصدر نفسه، و: 4و.

⁵ - المصدر نفسه، و: 5ظ.

والمشتري إن استحالت سكه فبالقديم كلما لا يترك

وما لشارحه سيدي محمد بن قاسم عليه، فلم نجد فيه ما يشفي في النازلة أو يكفي، لأن موضوعه أن شخصا أئمن كان معيناً لا احتمال فيه، ثم تغير إلى زيادة أو نقصان، وقد نص الفقهاء إذا تعددت السكك فيقبض البائع ما جاء به المشتري كما في خليل، وأصله لا بن رشد في البيان، وفي شرح الشيخ التاودي للتحفة¹ في بيع الأصول إذا تعددت السكك في البلد ولم يبين، فإن اتحدت رواجاً قضاة من أيّما شاء، وإن اختلفت قضاة من الغالب إن كان والآ فسد البيع لعدم البيان الخ، ولا نعلم اسم المثقال مسمى مخصوص، والغالب إطلاقه على أربعين موزونة، وبعض الفقهاء الذين يفتنون اليوم يخالفون، فيما يحكم به القاضي اليوم، صرف الريال بالمشقابل واجبا بحسب سعره وقت العقد، ويحتجون على ذلك بما لم يقع للنفس به اقناع كتراب العلامة الجزائري السيد محمد عزمان قاضي تطوان، قال بلغنا أن العمل عند أهل فاس على ما يراه هذا البعض لا على وجه الأول؛ فلم نجد بدا من إنهاء الأمر في القضية إلى علم العلماء العاملين واستشارتهم فيها، إذ على رأيهم العمل، ولأهل العدل غاية المنى ومنتهى الأمل بالمطلوب أن يشرفونا بجوابهم الشافي في النازلة لنستند إليه إن شاء الله².

ونظراً لأهمية هذه المسألة أو النازلة الفقهية كما بصطلح مؤرخو تلك الفترة وحتى الفقهاء على تسميتها، حيث نجد أبو حامد العربي المشرفي مسترسلاً في تفصيله لتلك النازلة بقوله: "وإن كان من قبيل المشترك؛ فيطلق على قدر مخصوص من الذهب وهو درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستة دوايق، والدائق فيراطان، والقيراط طسوجان، والطسوج حبتان، والحبة سدس ثمن الدرهم وهو جزء من ثمانية وأربعين جزء من درهم. وعليه اقتصر في القاموس، والمصباح يطلق على قدر مخصوص من الفلوس النحاس وهو أربعون موزونة، والمشارك من قبيل المجمل ولا يقضى بمجمل لكن العرف يبينه في كل محل إذا سلم، إن قول الموثق بعد ذكر المثاقيل دراهم سكة التاريخ من تلفيفه، وإلا اتضح الحال، وإن تبع الأشكال والعرف اليوم بفاس أن الأشياء الثمينة كأصول أو نحوها لا تباع بمثاقيل الفلوس النحاس. وإنما تباع بمثاقيل الذهب والفضة والمتوسطة كالذواب والأنعام تباع بمثاقيلها...".

ويشير أبو حامد العربي المشرفي إلى ضرورة التقيد بأحكام العلماء ووثائقهم، فيقول: "عن نوازل الشريف وقال هو أنه الحق الذي لا شك فيه أن كثيراً من الأعلام، قالوا إذا لم يعول على ما سطر في الوثائق، لم يكن لها معنى ولا فائدة، وهذا مُسَلَّمٌ لكن ينظر قاضي البلد في النازلة إلى عرف الناس؛ فإن الغالب اليوم في الحواضر، فكيف في البوادي يكتبون الوثيقة المسطرة المألوفة ولا

¹ يقصد بها شرح تحفة الحكام للتاودي.

² رواج الشبكة بالزيادة، المصدر السابق، و: 7 ط.

يلتفتون لمعاني الألفاظ، ولا يسمعون من المتعارضين معرفة ولا غير ذلك ويتساهلون فعلى القاضي التثبت في ذلك"¹.

وقد انتهى المشرفي في الأخير إلى ذكر حوصلة جامعة شاملة لخص فيها حيثيات النازلة متمثلة في قوله: "إذا وقع خلل في السكة فلا تخلو من أن تكون فضة أو ذهباً أو فلوساً، والخلل إما نقصان أو زيادة في الرواج أو بطلان التعامل أو انعدامها في البلد بالكلية، فهي ثلاث صور ضرورية في ثلاث بل أربع. والكل إما ماطلة أو عدمها بثمان عشرة صورة لا يتصور عقلاً سواها؛ فتبدل الرواج في الذهب والفضة بزيادة أو نقص، لا خلاف في وجوب مثل ما وقعت به المعاملة في تاريخها، خلافاً لمن أجراه فخطأً، إذ لا نص لمن يساعده، وكذلك في انقطاع التعامل مع وجودها صرفاً، كما أنه لا خلاف في وجوب القيمة عند عدمها. وأما صور الفلوس فعند بطلان التعامل بها يجب مثلها على المشهور خلافاً لمن أوجب قيمتها"².

وقد ختم المشرفي رسالته هذه بقوله: "وإن أمعنت النظر في الكلّ يتضح لك جميع ما قلناه فافهم وتفهم تلهم، ما أملاه بلفظه كما أملى من قبله بلفظه، راداً العلم لمولاه عبيد المولى العلي أبو محمد العربي ابن علي المشرفي نسبا الغريسي وطناً، ونشأة المالكي مذهبا، الأشعري معتقداً، وفقه الله في ثالث صفر الخير عام أربع وثلاث ومائة وألف، بلغه الله سؤاله آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"³.

لقد احتوت الرسالة على فوائد تاريخية هامة، وأخرى في من قبله بلفظه، يستقي منها الباحث والمهتم بتراث السكة والمسكوكات العربية وتاريخها العريق. ومدى انعكاس ذلك على الواقع المعاش سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على البلد الواحد.

5- أهمية الرسالة:

تكمن أهمية هذه الرسالة كونها توضح لنا وضعية النقود المغربية وأوزانها وأسعار صرفها أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهذا التفاوت في وضعية النقود ورواجها وقيم صرفها من خلال التعامل بها بزيادة أو نقصان؛ سواء فضة كانت أو ذهباً، يعطينا صورة واضحة عن طبيعة القضايا والنوازل التي كانت ترد على علماء وفقهاء تلك الفترة.

6- مصادر الرسالة:

لقد اعتمد العربي المشرفي في رسالته هذه على عدة مصادر في غاية الأهمية وهي: شرح العمل الفاسي لناظمه عبد الرحمن الفاسي، كتاب البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي، شرح تحفة الحكام للشيخ الناودي، كتاب القاموس للفيروز آبادي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، كتاب المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق لأحمد

¹- المصدر نفسه، و:12و.

²- المصدر نفسه، و: 13ط.

³- المصدر نفسه، و:15ط.

بن يحيى الونشريسي، شرح كتاب الفروق للإمام القرافي، كتاب مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للحطاب الرعيني، كتاب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام لابن سلمون، كتاب حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل، كتاب نور البصر في شرح خطبة المختصر، كتاب حاشية الأجهوري، كتاب صحيح البخاري (باب البيوع).

6- النسخ الخطية:

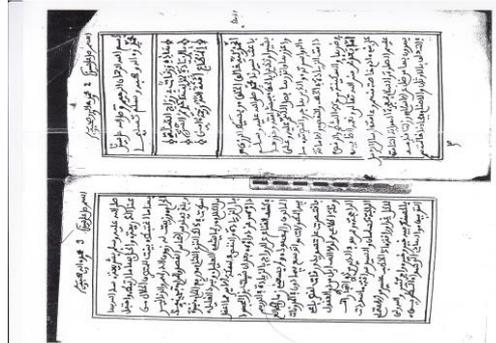
هذه الرسالة عبارة عن نازلة فقهية يجمع بين الفقه والتاريخ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ونظرا لأهميتها، ولاحظناها على معلومات قيمة عكفنا على دراستها والتنويه والتعريف بها، وهي نسخة مكتبة تيطوان، بالمملكة المغربية، تحت رقم: 343/1. ذو خط مغربي أسود، بمسطرة 09/16. بمعدل 19 سكرا في كل ورقة.

حاولنا قد المستطاع أن نعرف بهذا التأليف الذي نراه عبارة عن دراسة قيمة، قام بها أبو حامد العربي المشرفي أحد علماء القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، ضمن جيز جغرافي معروف وهو المغرب الأقصى، ضمن موضوع نازلة تلك الفترة وهي رواج السكة بالزيادة، التي فضل فيها وأسهب في تشريحها وتقريب معناها للسائل.

خاتمة:

تعتبر هذه الدراسة مساهمة منا في إبراز جانب مهم من جوانب تاريخ المغرب الأقصى الاقتصادي، وعملية التبادل التجاري التي كانت متداولة آنذاك. إلى جانب معرفة أهم التأثيرات والتي كانت لها انعكاسات على العملة المغربية وأسعار صرفها، مقارنة بالعملة الأجنبية التي كانت تتراجمها. إن هذه الدراسة تحاول إعطاء تصور واضح عن وضعية النقود المغربية وأسعار صرفها ورواجها، والاختلاف في تعاملها إما بالزيادة أو النقصان، وهو الأمر الذي أدى بالمشرفي إلى إعطاء وجهة نظره الفقهية العلمية.

لوحات الرسالة المخطوطة



اللوحة الأولى من مخطوط رواج السكة بالزيادة لأبي حامد العربي المشرفي
مخطوط مكتبة تطوان المملكة المغربية تحت رقم: 343/1.



اللوحة الأخيرة من مخطوط رواج الشبكة بالزيادة لأبي حامد العربي المشرفي
مخطوط مكتبة تطوان المملكة المغربية تحت رقم: 343/1.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو حامد العربي المشرفي، ورفات رواج الشبكة بالزيادة، مخطوط مكتبة تطوان، المملكة المغربية، رقم: 343./1.
- 2- العربي المشرفي، اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"، مخطوط مكتبة القصر الملكي، الرباط، رقم: 1534د.
- 3- حمد بن محمد مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ مفاخرها غير المتناهية، تحقيق ودراسة إدريس بوهليلة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: ط1، 2005م.
- 4- ابن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1417هـ .
- 5- أحمد الشباني الإدريسي، مصايح البشرية في أبناء خير البرية، المغرب: ط1، 1987.
- 6- حسن الفرقان، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، منشورات دار التوحيد الرباط المغرب، ط1، 2014.
- 7- عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وآثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2011.

- 8- عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر: أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993.
- 9- عمر أفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر: البنات والتحويلات (1830-1912)، دار الأمان الرباط، ط1، 2006.
- 10- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1998، ج5
- 11- رافت محمد النبراوي، التاريخ الهجري على النقود السلمية، مجلة العصور، المجلد5، 1989.
- 12- لخضر درياس، جامع المسكوكات العربية السلمية بالمتاحف الجزائرية، الجزء الأول متاحف الشرق الجزائري، 1999.
- 13- لخضر درياس، جامع المسكوكات العربية السلمية بالمتاحف الجزائرية، الجزء الثاني متاحف الغرب الجزائري، 2000.
- 14- ناهض عبدالرزاق القيسي، موسوعة النقود العربية والسلمية، دار اسامة، الرذن، 2001.
- 15- حامد العجايي، جامع المسكوكات العربية بإفريقية، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1988.
- 16- صالح بن قرية، المسكوكات المغربية من الفتح السلمي الى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 17- BOURUIBA.R, Sur Quatre Dinars Aghlabites Récemment Trouvés dans Département de Sétif, Revue d'Histoire et Civilisation du Maghreb, 1967.
- 18- LAVOIX.H, Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale, ARNALDO TOURNI EDITORE, S.P.A, 1977.